الحلقة (٣٤)

والحديث في هذه الحلقة سيكون متمما لما كان في الحلقات الأول، وهو التفصيل فيما مر علينا من بعض المسائل، ولعل من أولى المسائل التي هي أولى بالتفصيل هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله ثم أنواع التوحيد، فكلمة التوحيد، هي أساس الدين وحصنه الحصين وطريقه القويم، وصراطه المستقيم، ولهذه الكلمة المكانة العظمى في الدين، فهي أول ركن من أركان الإسلام وأعلى شعبة من شعب الإيمان، وهي أول واجب على المكلف، وآخر واجب عليه: (من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)، وقبول الأعمال متوقف على النطق بها والعمل بمقتضاها، فما معناها ؟

فمعناها الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، الحقيقي لـ لا إله إلا الله أي: **لا معبود حق إلا الله**، ولا يجوز لنا أن نقول إن معناها، لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله، فهذه المعاني ليست حقيقة معنى لا إله إلا الله، لعدة أمور:

الأول: **أن كلمة إله عند العرب فِعَال بمعنى مفعول** غراس بمعنى مغروس، وإله على وزن فعال بمعنى مفعول أي مألوه، والتأله في لغة العرب معناه: التنسك والتعبد، فمألوه معناه معبود ومنه قول رؤبة:

لله درب الغانيات المدهي*** سبحن واسترجعن من تأله

وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها آلهة.

الثاني: **أن كفار قريش والمشركين في الجاهلية لا ينكرون أنه لا خالق إلا الله، أو لا قادر إلا الله**، يقول الله تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} فالكفار يقرون بهذا المعنى، وأشعار العرب مليئة بالإقرار بهذا الأمر، أي توحيد الربوبية، إذا قلنا لا خالق إلا الله كأننا فسرنا لا إله إلا الله فقط بتوحيد الربوبية وتركنا بقية أنواع التوحيد، يقول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم*** ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر*** ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وكذلك حاتم الطائي الكريم، في الجاهلية كان يقول:

أما والذي لا يعلم السر غيره *** ويحيي العظام البيض وهي رميم

إذن أثبت لله الإعادة والإحياء وهو كافر جاهل.

الثالث: **أن كفار قريش لما قال لهم الرسول صلى الله علية وسلم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا وأخبر الله عنهم** {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} فما الذي فهمه كفار قريش عندما أمرهم النبي أن يقولوا لا إله إلا الله؟ هل فهموا من أن لا إله إلا الله أن معناها لا خالق إلا الله؟ كلا الجواب لا، لأنهم لا ينكرون ذلك، وإنما أنكروا أن تكون العبادة كلها لله وحده.

إذن فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود حقٌّ إلا الله، وتقدر كلمة حق، لأن المعبودات كثيرة، والمعبود الحق

هو الله قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلِ}.

هذه الكلمة لها أركان:

الأول :**ركن النفي**: في قوله (لا إله) الثاني: **الإثبات**: في قوله (إلا الله)

فعندنا ركنان، نفي وإثبات، ف"لا إله" نفت الألوهية عن كل ما سوى الله، و"إلا الله" أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له، وهذا الأسلوب يعرف عند العرب بأسلوب **القصر**، فهو أسلوب عربي معروف، وجملة القصر الواحدة بقوة جملتين، إحداهما مثبتة والأخرى منفية، وهذا الأسلوب من أقوى الأساليب التي يأتي بها لتمكين الكلام وتقريره في الذهن، لدفع ما فيه من إنكار أو شك، وطريق القصر من كلمة التوحيد: النفي والاستثناء، و"لا إله إلا الله" في قوة قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا}

◄ هل يكفي النطق بلا إله إلا الله؟ **كما مر قبل قليل أن الشهادة معناها لا معبود حق إلا الله، فلا يعبد إلا الله، ولا يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله**، فمن قال هذه الكلمة عالما بمعناها، وعاملا بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية، مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به، فهو المسلم حقا، ومن عمل بها من غير اعتقاد فهو المنافق، ومن عمل بخلافها من الشرك فهو المشرك الكافر وإن قالها بلسانه.

ذكر العلماء لكلمة الإخلاص شروطا سبعة، لا تصح إلا إذا اجتمعت هذه الشروط، واستكملها العبد والتزمها بدون مناقضة لشيء منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له عددها لم يحسن ذلك، وكم حافظا لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرا فيما يناقضها، **هذه الشروط مأخوذة بالتتبع والاستقراء**، وقد نظمها الشيخ حافظ حكمي بقوله:

العلم واليقين والقبـول* والانقياد فادر ما أقول**

والصدق والإخلاص والمحبة* وفقـك الله لما أحبه**

ونظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع*محبة وانقياد والقبول لها**

وأضاف بعضهم شرطا ثامنا ونظمه بقوله:

وزيد ثامنها الكفران منك بما ***سوى الإله من الأوثان قد أُلها

وهذا الشرط من قوله صلى الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه) هذه هي الشروط السبعة مع زيادة الشرط الثامن.

وتفصيل هذه الشروط

الشرط الأول: **العلم** والمراد به **العلم بمعناها نفيا وإثباتا، وما تستلزمه من عمل، فإذا علم العبد أن**

الله عز وجل هو المعبود وحدهوأن عبادة غيره باطلة، وعمل بمقتضى ذلك، فهو عالم بمعناها، وضد العلم الجهل بحيث لا يعلم وجوب إفراد الله بالعبادة، كأن يرى جواز عبادة غير الله مع الله، لقوله تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} ويقول تعالى {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُون} أي من شهد بلا إلٰه إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم، ويقول تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ويقول تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} ويقول تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} ويقول تعالى {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُون}، وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه أنه قال، قال الرسول (من مات وهو يعلم أنه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة).

الشرط الثاني: اليقين **وهو أن ينطق بالشهادة عن يقين ويطمئن إليه قلبه، دون تسرب شيء من الشكوك التي يبذرها شياطين الجن والإنس، بل يقولها موقنا بمجموعها يقينا جازما،** فلا بد لمن أتى بها أن يوقن بقلبه، ويعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله تعالى، وبطلان إلهية من سواه، وأنه لا يجوز أن يصرف لغيره شيء من أنواع التأله والتعبد، فإن شك في شهادته أو توقف في بطلان عبادة غير الله، كأن يقول: أجزم بألوهية الله لكني متردد ببطلان ألهية غيره، بطلت شهادته، ولم ينفعه قول لا إلٰه إلا الله، والسبب **تطرق الشك فزال اليقين.**

يقول الله تعالى مثنيا على المؤمنين {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون}ومدحهم أيضا بقوله {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} وذم المنافقين بقوله: {وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُون}، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة) وعنه أن النبي قال (من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) بشرى من الرسول صلى الله عليه وسلم بشرط الإيقان، يشهد الشهادة مستيقنا به قلبه لا شاكا.

الشرط الثالث: القبول: والقبول يعني أن **يقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه وبلسانه، فيصدق بالأخبار، ويطيع الأوامر، ويؤمن بكل ما جاء عن الله، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، ويقبل ذلك كله، ولا يرد منه شيئا، ولا يجني على النصوص بالتأويل الفاسد، والتحريف الذي نهى الله عنه، بل يصدق الخبر، ويمتثل الأمر، ويقبل كل ما جاءت به هذه الكلمة واقتضته، بكل رضا وطمأنينة وانشراح صدر،** يقول تعالى واصفا المؤمنين {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير} يقول الباري عز وجل: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} وضد هذا الشرط: الرفض والرد، فإن هناك من يعلم بمعنى الشهادة ويوقن بمدلولها ولكنه يردها كبرا وحسدا، وهذا حال علماء اليهود

والنصارى كما قال تعالى عنهم {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُون} ويقول تعالى: {حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَق}، ، وكذلك المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله، وصِدْق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم يستكبرون عن قبول الحق، كما قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُون} ويقول تعالى: {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} وكذلك كان شأن فرعون لعنه الله مع موسى عليه السلام.

ويدخل في الرد وعدم القبول من يعترض على بعض الأحكام الشرعية أو الحدود، كالذين يعترضون على حد الزنا والسرقة والمواريث، فهذا داخل في الرد وعدم القبول، لأن الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة} ويقول تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم} **ويدخل أيضا في الرد المناقض المنافي للقبول: من يعطل من أسماء الله صفات، أو يمثلها بصفات المخلوقين.**

الشرط الرابع: الانقياد وذلك بأن **ينقاد لما دلت عليه كلمة الإخلاص، ولعل الفرق بين الانقياد والقبول أن** القبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول، وأما الانقياد فهو الإتباع بالأفعال، **ويلزم منهما جميعا الإتباع، فالانقياد هو: الاستسلام والإذعان وعدم التعقب لشيء من أحكام الله سبحانه وتعالى،** يقول الله تعالى: : {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَه} ويقول تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِن} ويقول تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} وقال تعالى مثنيا على إبراهيم {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْت}انقياد، **ومن الانقياد أن ينقاد العبد لما جاء به النبي برضا وعمل دون تعقب أو زيادة أو نقصان،** يقول تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، وإذا علم أحد معنى لا إله إلا الله وأيقن بها وقبلها، ولكنه لم ينقد لها ويعمل بمقتضاها، فإن ذلك لا ينفعه، كما هو حال أبي طالب، كما يقول مدافعا عن الرسول:

والله لـن يصلوا إليك بجمعهـم***حتى أوسد في التراب دفينـا

فاصدع بأمرك لا عليـك غضاضة***وافرح وقر بذات منك عيونـا

ولقد علمـتُ بأن دين محمـد***من خير أديان البرية دينـا

لولا الملامة أو حذار مسبـة***لوجدتني سمحا بذلك مبينـا

◄ **فما الذي نقص أبا طالب؟** الذي نقصه الانقياد لله تعالى، وكذلك الحال لبعض المستشرقين المعجبين بالإسلام ويعرفون أنه الحق، لكنهم لم ينقادوا وهذا لا يفيدهم، وتجد بعض المسلمين يعجبون بهم ويسمونهم بالموضوعية، ولكن إعجاب هؤلاء المستشرقين لا يكفي بل لابد من الانقياد، ومن عدم الانقياد عدم التحاكم إلى شريعة الله، واستبدالها بأحكام وضعية فرنسية كانت

أو انجليزية أو غيرها، عوضا عن أحكام الله تعالى، هذا من عدم الانقياد الذي هو شرط من شروط لا إله إلا الله.